لا تزن الأمور إلا بالمال والمنفعة ، ولا تقدر الأشياء إلا بفائدتنا وشهوتنا وإن نال غيرنا ضر فهذا الضرر هوانا وبغيتنا ، وبه جذلنا وغبطتنا ، فإننا نعمل لأنفسنا ، ونبغض البشر أجمعين سواء منهم من أساء إلينا كأهل أوروبا ومن أحسن إلينا كالعرب ، ولكننا نستعين بجماعة على أخرى ، ونتمنى أن يهلكوا جميعاً ...

***

لليهود ماض في فلسطين ، وللعرب ماض وحاضر ؛ لليهود فيها تاريخ انقطع منذ عشرات القرون ، وللعرب تاريخ موصول منذ عشرات القرون . لليهود في فلسطين تاريخ ذليل مشرد انقطع بجلائهم عنها ويأسهم منها ، وللعرب تاريخ مجيد عزيز دافع عنها في غير يأس ، واستقر بها في غير ذلة . لليهود في فلسطين أحجار مهدومة يبكون عليها هي بقايا الأحداث ، وفضلات العصور . وللعرب آثار قائمة مشيدة تصل تاريخهم ، وتشهد بمآثرهم ، وتكذب دعوى اليهود في كل بقعة . لليهود في فلسطين صفحات في الكتب ، وللعرب صفحات خالدات في أوديتها وجبالها ومدنها وقراها .

ولو لم يكن للعرب في فلسطين إلا أنهم دافعوا الصليبيين فيها وحولها أكثر من مائتي عام حتى أجلوهم عنها ، وأقروا بجدهم وتاريخهم فيها ، لكان هذا كفيلا لهم بحقهم فيها أبد الدهر .

***

حق العرب في فلسطين يقاتل باطل اليهود ، وإحسان العرب يقاتل كفران اليهود وكرم العرب يلاقي لؤم اليهود . يتقاتل في فلسطين الحق والباطل ، والخير والشر ، والمروءة ، والنذالة ، والأخلاق الإنسانية العالية ، والطبائع الحيوانية الدنيئة ، والتاريخ العزيز القائم ، والتاريخ الذليل الميت .

وإن عدل الله سبحانه ، وإن كرامة الإنسان ، وإن أخلاق البشر ، وسنن الخليقة ، لتأبى أن يغلب جند الباطل جند الحق ، والفئة اللئيمة الفئة الكريمة ، وأعوان الشر أعوان الخير ، وحزب الشيطان ، حزب الله .

« بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ، ولكم الويل مما تصفون » .

عبد الوهاب عزام

أيها العرب

ما هلك امرؤ عرف قدر نفسه

للأستاذ نقولا الحداد

قلتها وسأقولها أيضاً : لا تعتمدوا على الحق مهما كان حقكم صراحاً ، لأنه ليس للحق مكان في هذا العالم الشرير ؛ فقد علمتم أن هيئة الأمم هي جمعية تقسيم أسلاب وغنائم ، وأن مجلس الأمن مجلس مؤامرات وما أوصت هيئة الأمم بتقسيم فلسطين إلا كتقسيم الأسد الأمريكي الفرائس على صعاليك الأمم والدول . وقد طاوعتم مجلس الأمن في المدنة الأولى لظنكم أنهم يحسبون لكم احترامها كرم أخلاق ، فظهر لكم أنها دسيسة سياسية دستها إنجلترا وأمريكا عليكم لكي تسلم الهاجاناه من الهزيمة النكراء ، ولكي تتسلح مزيداً وتزداد عديداً . وهكذا كان .

والآن وقد عاد برنادوت بقبض وتضييض من الجنود والبوارج والطرادات والنسافات والطائرات الضخمة والجلزونية والمركبات المصفحة والدبابات و و و الخ من الأسلحة ، وفي هدنة لا آخر لها لكي يجعل فلسطين أخيراً كلها ، لا قسماً منها ، دولة إسرائيل . وقد جعل الهدنة بلا أجل مسمى ، لكي يصفو له الجو ، ويرتب ويدرب على مهل ، وهو يزعم أنه يفاوض ويحاكم ويناهض ويبارك وأخيراً يستفتي .

وما معنى كل هذا وقد علم أن فلسطين كل لا يتجزأ ، فهل يمكنه أن يعمل أعجوبة بأن يجزئها وتبقى كلا ؟ ثم يستفتي من ؟ وهو يعلم أن العرب أكثرية ساحقة . فبطبيعة الحال ستكون نتيجة الاستفتاء أن فلسطين كلها لسكانها من عرب ويهود فلسطينيين فما معنى الاستفتاء ، وما معنى المفاوضة والأمر واضح ؟ إلا إذا كان برنادوت يظن أن العرب يملون طول المدنة واليهود لا يملونها لأنهم مقيمون في فلسطين كلها يستغلونها وأهلها مشردون عنها . وكيف يمكن أن يعودوا إليها غير مسلحين ويأمنون شر اليهود الأرداء .

لو كان برنادوت « كونتاً » أي من الشرفاء كما قيل لنا قبل

هذه المهمة العقيمة ، وهي مهمة غير شريفة ، ولما قال إنه لم يأت لإحقاق الحق ، بل لكي يسوي خلافاً بين العرب واليهود بأية طريق ولو بالقهر للعرب . ولما رأى أن هذه المهمة مستحيلة عليه عاد بقوات حربية ضخمة لكي ينفذ بالقوة القاهرة ما شاء وشاء له منتدبوه .

لا ندري الآن إلى أي حد يفلح . نترك الأمر للزمن . وإنما يجدر بالدول العربية كلها أن تحذو حذو العراق باستدعاء مندوبيها من هيئة الأمم إذا لم تقرر هذه الهيئة اقتراح سوريا بعرض قضية فلسطين على محكمة العدل في لاهاي . فربما كان فيها عدل ، لأنه لا يليق بالدول العربية أن تكون أعضاء في عصابة متحكمين مستبدين يبتزون من هذا لكي يعطوا هذا ، ولا أن يكونوا في جمعية لا تريد العدالة .

برنادوت يستطيع بقوته الحربية أن يقهركم . ولكنه لا يستطيع أن يقهر عصابة الأرجون الإرهابية لكي تطلق سراح الإنجليز الخمسة ، حتى إن إنجلترا التي عجزت عن تخليصهم من براثن الأرجون ، تضطر أن ترفع شكواها إلى مجلس الأمن ، وأن يقف السير ألكسندر كادوجان إلى جنب شق من أشقياء الأرجون ، وهل تخضع عصبة الأرجون لمجلس الأمن إذا كانت لم تخضع لهيئة الأمبراطورية البريطانية العظمى ؟

كنت أتمنى أن تكون هذه الحادثة مع ألمانيا في عهد هتلر أو مع فرنسا لعهد ديجول في دمشق ، إذن لرأينا تل أبيب كلها تندك على رءوس سكانها في ساعة من الزمن ، لأنه لا ألمانيا ولا فرنسا تحتمل هذا الاستخذاء إلا متى قهرت في الحرب .

ليس غرضي من هذا المقال أن أقول ما قلته الآن . بل غرضي أن أسائل : ماذا تعلمنا من دروس في هذه الأحداث الأخيرة ؟

ظهر لنا أننا لم نبخل بالمال ولا بالرجال ، حتى ولا قصرنا في السياسة وإنما سلاحنا قصر ، وجميع الدول تألبت علينا لحرمتنا السلاح ، ولولا هذا لكان بنو إسرائيل الآن طعاماً لسمك بحر فلسطين .

نحن إذن في حاجة ماسة إلى السلاح ، ليس الآن فقط ، بل في كل حين ، لأننا لا ننتهي مع الصهيونيين بانتهاء هذه الرحلة ؛ بل سنبقى في صدام معهم ما داموا بين ظهرانينا . فإن استتبت قدمهم في فلسطين كانوا نكبة علينا لا تنتهي . فيجب أن نكون دائماً على استعداد لناهضتهم إلى أن نقذفهم في بحر فلسطين . فمن أين السلاح ؟

يجب أن نستغني عن سلاح أية دولة أجنبية . لماذا لا نصنع سلاحنا بأنفسنا ؟ ما ذا ينقصنا ؟ المال ؟ نحن أغنياء . العقول ؟ لقد شهد الأجانب في مؤتمرات كاليفورنيا ونيويورك ولايك سكس أن لنا عقولاً ممتازة . العمال ؟ عندنا كثير منهم .

يجب أن ننشيء معامل ضخمة في جميع البلاد العربية لصنع آخر طراز من الطائرات الخفيفة الضخمة ، وأن ننشيء معامل ضخمة لصنع المدافع من كل طراز والبنادق والذخائر على اختلاف أنواعها ، وأن ننشيء دور صناعة وحياضاً لصنع السفن ، ومعامل لصنع المركبات على اختلاف أنواعها والدبابات .

كل هذا ممكن إذا كانت الدول العربية تعزم عزماً صادقاً أن تفعله ، لا أن تعتمد على شركات مالية ، لأننا نحن الشرقيين لم نجرؤ بعد على الأعمال الاقتصادية الاجتماعية . والعصر عصر اشتراكي أكثر مما هو إفرادي . فيحسن أن تكون هذه المصانع الحربية ملك الأمة لا ملك الأفراد أو الشركات . ويجب أن تقدم هذه المشروعات على كثير من المشروعات الحكومية التي يمكن تأجيلها لمدة خمس سنين على الأقل لأن الدفاع عن النفس يقدم على كل اعتبار

هذا ما يجب أن تفكر فيه الأمم العربية الآن ، لأن العصر عصر الاعتماد على النفس ، وإلا تغدّى بنا الصهيونيون قبل أن نتعشى بهم . لم يعد في إمكان الأمم التواكل أو الاتكال على غيرها ما دامت تبتغي الاستقلال التام . الاستقلال التام يقتضي الاستقلال في كل شيء على الإطلاق لا الاستقلال بكراسي الحكم فقط .

هذه كلمة صغيرة جداً من عربي صغير جداً ، ولكنها كبيرة جداً لأمة عربية كبيرة أو تدعي أنها كبيرة . فالكبير يجب أن يكون مستغنياً عن كل كبير وصغير . والسلام على من اتبع الهدى

نعوم الحداد